المال ينفد حله وحرامه يوما ويبقى بعده اثامه
ليس التقي بمتق لالهه حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يجني ويكسب اهله ويطيب من لفظ الحديث كلامه

حكي عن ابن مغنم السلمي انه قال الناس ثلاثة اصناف اغنيا وفقرا واوساط فالفقرا موتى الا من اغناه الله تعالى بعز القناعة والاغنيا سكارى الا من عصمه الله تعالى بتوقع الغير واكثر الخير مع اكثر الاوساط واكثر الشر مع اكثر الفقرا والاغنيا لسخف الفقر وبطر الاغنيا والحال الثانية ان يقصر عن طلب كفايته ويزهد في التماس مادته وهذا الحال قد يكون على ثلاثة اوجه فيكون تارة كسلا وتارة توكلا وتارة زهدا وتقنعا فان كان تقصيره لكسل فقد حرم ثروة النشاط ومسرة الاغتباط فلن يعدم ان يكون كلا مقصيا او ضايعا شقيا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كاد الحسد يغلب القدر وكاد الفقر يكون كفرا وقال بزرجمهر ان كان شي فوق الحياة فالصحة وان كان شي مثلها فالغنا وان كان شي فوق الموت فالمرض وان كان شي مثله فالفقر وقيل في منثور الحكم القبر خير من الفقر ووجد في نيل مصر مكتوب على حجر عقبة الصبر نجاح وعنا وردا الفقر من نسج الكسل وقال بعض الشعرا

اعوذ بك اللهم من بطر الغنا ومن ذلة البلوى ومن ذلة الفقر
ومن امل عندي بكل شارق ويوحشني منه بحظ يد صفر
اذا لم تدنسني الذنوب بعارها فلست ابالي ما تشعث من امري

وان كان تقصيره لتوكل فذلك عجز قد اعذر به نفسه وترك حزم قد غير اسمه لان الله تعالى امر بالتوكل عند انقطاع الحيل والتسليم الى القضا بعد الاعذار وقد روى معمر عن ايوب عن ابي قلابة قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل فذكروا فيه خيرا فقالوا يا رسول الله خرج معنا حاجا فكنا اذا نزلنا منزلا لم يزل يصلي حتى نرحل فاذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله تعالى حتى ننزل فقال صلى الله عليه وسلم فمن كان يكفيه علف ناقته وصنيع طعامه قالوا اكلنا يا رسول الله قال فكلكم خير منه وقال بعض الحكما ليس من توكل العبد المرء اضاعته للحزم ولا من الحزم اضاعة نصيبه من التوكل وان كان تقصيره لزهد وتقنع فهذه حالة من علت همته نفسه تبعات الغنا والثروة وخاف عليها بوايق الهوى والقدرة فاثر الفقر على الغنا وزجر النفس عن ركوب الهوى وقد روى ابو الدردا رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلعت فيه شمسه الا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله تعالى كلهم الا الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم ان ما قل وكفى خير مما كثر والهى وروى زيد بن علي بن الحسين عن ابيه عن جده رضي الله تعالى عنهم اجمعين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج من الله تعالى عبادة ومن رضي بالقليل من الرزق رضي الله تعالى عنه بالقليل من العمل وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال من فضل الفقر انك لا تجد احدا يعصي الله تعالى ليفتقر لمحمود الوراق فقال هذه الابيات في هذا المعنى وهي هذه

يا عايب الفقر الا تزدجر عيب الغنا اكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله على الغنا لو صح منك النظر
انك تعصي لتنال الغنا وليس تعصي الله كي تفتقر

وقال ابن المقفع رحمه الله تعالى هذين البيتين في معنى ذلك وهما هذان

دليلك ان الفقر خير من الغنا وان القليل المال خير من المثري
لقاوك مخلوقا عصى الله بالغنا ولم تر مخلوقا عصى الله بالفقر

وهذه الحال انما تصح لمن نصح نفسه فاطاعته وصدقها فاجابته حتى لان قيادها وهان عنادها وعلم ان من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير كما كتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهما يا اخي من استغنى بالله اكتفى ومن انقطع الى غيره تعنى ومن كان من قليل الدنيا لا يشبع لم يغنه منها كثرة ما يجمع فعليك منها بالكفاف والزم

Copyright © King Saud University